دور الفرنسيين في نفي المطران بطرس البستاني

أ.د. محمد هليل الجابري م.م. كريم عباس حسون الجبوري
جامعة القادسية/ كلية التربية

The Role of the French in the Exile of the Bishop Butrus Al-Bustani

Prof. Muhamad Hleel Al-Jabri Asst. Lect. Kareem Abbas Hassoon.
Qadisiyah University / College of Education

Abstract

In the second half of the nineteenth century, the Maroonic church became so powerful in the Mount of Lebanon so that they had a strong leading role in the areaand they stood against those who tried to fight the church by creating problems, having plead against the church, and accusing the church.

المقدمة

أصبح رجال الكنيسة المارونية لاسيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من القوة والنفوذ في جبل لبنان الى درجة انهم أسهموا بشكل كبير في رسم سياسة الجبل، ووقفوا بوجه المتصرفين الذين حاولوا اضعاف قوة الكنيسة، واثاروا المشاكل ضدهم، ورفعوا الشكاوى ضدهم، ووجهوا الاتهامات لهم.

وكان أبرز رجال الدين الموارنة الذي لعب دورا اساسيا في سياسة جبل لبنان هو المطران بطرس البستاني الذي عرف بمعارضته للمتصرف رستم باشا، وحاول وضع العراقيل امام تنفيذ سياسة المتصرف في الجبل فشكل مع بعض الجهات المارونية المعارضة للمتصرف حركة اتسمت بقوتها وكادت ان تعصف بحكومة المتصرفية، واقلقت ليس فقط حكومة الجبل بل الدول الاوربية لاسيما فرنسا التي رأت في استمرار معارضة المطران بطرس البستاني للمتصرف خطرا على مصالحها في جبل لبنان.

رأت فرنسا أن سكوتها عن تحركات المطران سيؤدي الى تمادي الاخير في معارضته للمتصرف، وسينتهج خصوم الاخير الفرصة لاثارة المشاكل ضده، فضلا عن ذلك اعتقدت فرنسا ان استمرار الطمران في المعارضة سيؤدي الى انشقاق داخل الكنيسة المارونية مما يسهم في اضعاف الاخيرة ويساعد على تدخل الباب العالي والدول الكبرى في شؤونها الداخلية مما يؤدي الى فقدان فرنسا لاهم ركيزة من ركائز نفوذها في المشرق العربي، ومن هنا كان عليها التدخل من اجل انهاء هذه المشكلة وذلك من خلال موافقتها على نفي المطران البستاني الى القدس ومن ثم العمل على اعادته الى مقره مرة اخرى وذلك بعد اخذ التعهدات منه بعدم اثارة المشاكل ضد حكومة جبل لبنان.

اتسمت العلاقة بين رستم باشا[1] والمطران بطرس البستاني[2] بالقوة منذ تعيين الاول متصرفا على جبل لبنان سنة 1873 الا أن العلاقة بدأت بالانهيار منذ سنة 1875، وكان للانهيار اسباب عديدة لعل ابرزها ابعاد المتصرف لرجال الدين بشكل لم يالفه الاخيرين من قبل، واتهامه للمطران بطرس البستاني بمساعدة يوسف كرم[3] لاعادته الى جبل لبنان[4].

(1) ينتسب رستم باشا الى اسرة ايطالية، ولد فيفلورنسة سنة 1710، ودرس في روما، واتصل بالسفارة العثمانية في روما، وحصل على الجنسية العثمانية، وعين موظفا في وزارة الخارجية العثمانية، ثم سفير لدى روما ومن ثم بطرسبورغ، عين سنة 1883سفيرا لدى لندن، واستمر في منصبه حتى وفاته سنة1894. المسعودي: الدولة العثمانية في لبنان وسورية، بيروت، 1916، ص77.

(2) ولد المطران بطرس البستاني في قرية الدبية التابعة لقضاء الشوف سنة1819، وتلقى تعليمه في مدرسة الدبية ثم دخل مدرسة عين ورقة، وعين معلما في مدرسة مشموشة، وفي سنة1842 سيم كاهنا، رقي الى مطران سنة 1856، وفي سنة1866 تسلم مسؤولية مطرانية صوروصيدا، قام بعدة رحلات الى اوربا والاستانة، ترأس المجمع الماروني سنة1890 لانتخاب البطريك يوحنا الحاج، توفي سنة1899.ابراهيم البستاني: المطران بطرس البستاني 1818-1899، دار البستاني للنشر، بيروت، د ت، ص ص11-15.

(3)ولد في قرية اهدن شمال جبل لبنان سنة1823، وتلقى تعليمه في مدارس الارسالية اللعازارية، واتقن اللغة الفرنسية، عين سنة 1860 قائمقام النصارى، استقال سنة1861 ، عارض تعيين داود باشا متصرفا على جبل لبنان، وبسبب ذلك نفي الى الاستانة، وفي سنة 1864 عاد الى الجبل مرة اخرى، واعلن العصيان ضد المتصرف الا انه اضطر الى الاستسلام سنة 1867، ونفي الى الجزائر، وتنقل بين العورصم الاوربية، توفي سنة1889.سمعان الخازن: تاريخ اهدن، ج1، بيروت، 1938، ص ص145-150.

(4) Documents diplomatiqes it consalairel relatifs a histoire du liban by Adel Ismail, Bayrouth , 1975-1978, v.13,p.425 (D.D.C) ؛ وسنشير لها باختصار

ومما زاد من العداء هو وقوف المطران البستاني ضد الاجراءات الاقتصادية التي اتخذها رستم باشا كاجبار الاهالي على دفع ما تبقى من الضرائب المتاخرة منذ سنة 1860 ورغبة المتصرف السيطرة على مياه بيت الدين واستيلائه لقطعة ارض مجاورة لبيت الدين ادعى المطران انها من املاك الكنيسة المارونية[1].

توسعت شدت الخلاف بين الطرفين، واتهم المطران المتصرف بالعمل على تحويل اراضي الجبل الى اراضي اميرية لاسيما بعد قرار الاخير اعتبارغابة الارزمن الاثار القديمة التي عدها المطران وقفا للكنيسة المارونية ومسؤولية حمايتها تقع على البطاركة [2]، ومما زاد الامور سوءا هو تدخل رستم باشا في بعض الامور التي هي من اختصاص رجال الدين كالزواج والطلاق وبعض المسائل الاجتماعية[3]، كما كان لنقل المتصرف مقره اكثر من مرة وكثرة سفره الى اوربا اثر في تهييج الرأي العام ضد التصرف فضلا عن العلاقة التي ربطت المطران بطرس بالقنصل الفرنسي الذي حاول استثمارتلك العلاقة لاضعاف المتصرف [4].

تزامنت تلك الاوضاع مع حادثة الرهبان اللبنانيين في دير قزحيا التي عدت من اهم الاحداث التي واجهتها الكنيسة المارونية وكادت ان تشقها الى قسمين لاسيما انها سمحت للسلطة المدنية التدخل في شؤون السلطة الدينية وتطاول بعض الموارنة على المقام البطريكي واتهامه بخيانة الطائفة المارونية[5].

تعود قضية الرهبان الى سنة 1872، ففي تلك السنة جرى انتخاب رئيس عام للرهبانية ومدبريها الاربع، ورشح الاب افرام جعجع رئيس الرهبنة نفسه لرئاسة الرهبنة، ولكن البطريك قرر الاخذ بنظام التعيين واختياره الاب مرتينوس غسطاوي من كسروان رئيسا للرهبنة [6].

على الرغم من ان التعيين لم يحدث اول مرة في تاريخ الرهبانية اللبنانية كما انه جرى بحضور القاصد الرسولي بيافي Piavi الا ان الرهبان رفضوا اجراءات البطريك، واتهموا الاخير بالتدخل في شؤونهم الخاصة ورغبته في تعيين أب من اديرة كسروان بدلا من اديرة المنطقة الشمالية والعمل ضد الاخيرين، وللحد من التطاولات تلك، اصدر البطريك امرا اعلن فيه ان الاجراءات التي اتخذها كانت بامر البابا وشجب عمل الرهبان[7].

وجدت حادثة الرهبان صداها في اوساط الاكليروس الماروني فساند قسم من المطارنة كبطرس البستاني الاب افرام جعجع واستنكروا عمل البطريك، واعتقد المطران بطرس ان التعيين جاء بامرمن رستم باشا، واستند في ذلك الى العلاقة القوية التي جمعت المتصرف بالقاصد الرسولي والبطريك الماروني مما كان له الاثر الاكبر في اتساع الحلاف بين المطران والطرف الاخر لاسيما المتصرف[8].

ابراهيم حرفوش: دلائل العناية الصمدانية في سيرة البطريك الياس الحويك، جونية، 1935 ص76؛ عبد الله الملاح: وثائق جديدة من تاريخ المتصرفية (عهد رستم باشا)1873-1883، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1979، ص35. وسنشير لها بالمختصر (D.D.C)

(1) D.D.C: ot.cit,v.13,p.433,446؛Toufic touma: paysans etinstituions feodales chezles pruses et les maronites du liban du xv11 siecle-1914,publications de universite libanaise,beyrouth,1971,p.325 .

(2) D.D.C: op.cit,v.13,p.425 ؛

جريدة العمل، العدد 9953، السنة 1978؛ هنري لامنس: تسريح الابصارفيما يحتوي لبنان من الاثار، دار الرائدا للبناني، بيروت، ط2، 1982، ص140؛ فريد ابو فاضل: اسر العناحلة ومراحل التاريخ اللبناني، لادار، 1945، ص56.

(3) عبد الله الملاح: المطران بطرس البستاني اول منفي في عهد المتصرفية، مجلة المنارة، ع1، 1993، ص60؛ رتيب عيد: المطران بطرس البستاني 1819-1899، منشورات جامعة روح القدس، الكسليك، جبل لبنان، 2013، ص314.

(4) D.D.C: ot.cit,v.13,p.425 ؛

يوسف السودا: في سبيل الاستقلال، ج1، بيروت، 1967، ص ص35-39؛ شاهين الخازن: كنوز لبنان المرصودة، جونية، لبنان، ص112؛ جريدة العمل: العدد 9953، السنة 1978.

(5) اسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، دار النهار للنشر، بيروت، 1973، ص160؛ لحد خاطر: عهد المتصرفين في لبنان 1861-1918، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1967، ص79-80.

(6) ابراهيم حرفوش: المصدر السابق، ص ص76-77؛ بولس ابي ابراهيم: المطران البستاني، مجلة اوراق لبنانية، السنة 1957، ص526.

(7) عبد الله الملاح: وثائق، المصدر السابق، ص ص43-45؛ Toufic touma: op.ci، p.323

(8) ابراهيم حرفوش: المصدر السابق، ص76-78؛ لحد خاطر: المصدر السابق، ص ص80-81.

حاول المطران بطرس استمالة المطران يوحنا الحاج[1] ضد المتصرف الا ان الحاج لم يوافق، وفي سنة 1876 زار المطرانان يوسف الدبس[2] وبطرس البستاني البطريك، وطلبا من الأخير مساعدته في عزل المتصرف الا ان البطريك رفض ذلك، وعلى الرغم من رفض البطريك الا ان المطران البستاني رفع مع بعض المطارنة شكوى الى الباب العالي ضد المتصرف الا ان الباب العالي لم يرفض الشكوى، وانما اعادها الى رستم باشا الذي استاء منها واضمر العداء لرافعيها لاسيما المطران بطرس[3].

لم تكن تلك الاحداث بعيدة عن مسامع القنصل الفرنسي تريكو Tricou لاسيما ما يتعلق بوضع الاكليروس الماروني الذي عد صمام الامان للسياسة الفرنسية في الجبل، وقد استاء القنصل من موقف بعض المطارنة من قضية انتخاب الرهبانية والنيل من البطريك، واعتقد ان تلك الاحداث ستضعف قوة الموارنة وستساعد السلطة العثمانية على التدخل في الجبل وستعيد الامور الى ما كانت عليه سنة 1860 وسوف يكون موقف فرنسا حرجا لاسيما بعد بروز دولتين تناوئان فرنسا هما المانيا وايطاليا اللتان قد تتدخلا في الجبل، فينتهز الباب العالي الفرصة ويقضي على امتيازات الجبل التي عملت فرنسا من اجله الكثير[4].

كانت علاقة القنصل الفرنسي بالمطران بطرس البستاني جيدة ونال الاخير حظوة لدى الاول الا ان دعوة المطران في ايجاد زعامة سياسية مارونية تتمثل بيوسف كرم ادت الى تغيير القنصل الفرنسي لموقفه تجاه المطران[5]، فعلى الرغم من موقف القنصل من رستم باشا واتهامه بمناوئة النفوذ الفرنسي في الجبل الا انه رأى ومن ورائه السفير في الاستانة والحكومة الفرنسية ضرورة ابعاد يوسف كرم عن الجبل وعدم اعادته الى هناك، وطلب القنصل من المطران عدم تأييد يوسف كرم، ومما زاد الامر سوءا هي الصداقة التي جمعت المطرانين البستاني والدبس مع القنصل الايطالي ماكسيو Maccio والقاصد الرسولي اللذان عملا على تقوية النفوذ الايطالي على حساب النفوذ الفرنسي، فتخوف القنصل الفرنسي من تلك العلاقة لاسيما وأن العلاقة بين الفاتيكان والحكومة الايطالية سارت بشكل ارضت البابا وجعلته يساعد الايطاليين في دعوتهم لتبني الارساليات التبشرية الكاثوليكية لاسيما وان البابا قارن بين الحكومة الملكية في ايطاليا والقائمة على احترام الكنيسة الكاثوليكية وبين الحكومة الفرنسية التي تبنت افكار علمانية وشنت حملة ضد المؤسسات الدينية في فرنسا واغلاقها للمدارس الدينية، مما ادى الى سحب البساط من تحت اقدام الفرنسيين الذين عدوا انفسهم ومنذ القرن السادس عشر حماة ليس الارساليات الكاثوليكية فقط وأنما جميع الكنائس الكاثوليكية في الشرق، ومما زاد من مخاوف الدبلوماسيين الفرنسيين في سوريا بشكل عام وجبل لبنان بشكل خاص المعلومات التي اكدت ان رجال الدين الايطاليين ابلغوا رجال الدين الكاثوليك والمؤسسات الدينية الغربية عن انضوائهم قريبا تحت الحماية الايطالية[6].

لم يتخوف الفرنسيون من الاتصالات بين الايطاليين ورجال الدين الشرقيين فقط، وانما تخوفوا من قيمة المساعدات التي قدمتها الحكومة الايطالية الى الطوائف الكاثوليكية الشرقية، فقد بلغ ما قدمه الايطاليون الى بطريك الروم الكاثوليك 6000 فرنك منها 2000 فرنك كرواتب لمعلمي اللغة الايطالية والاخر وزع كمنح لعشرة طلاب اختارهم القنصل الايطالي في بيروت فضلا عن تقديمه جوائز بقيمة 800 فرنك عند نهاية العام الدراسي[7].

---

(1) ولد في كسروان بجبل لبنان سنة 1818، وتلقى تعليمه في مدرسة عين ورقة، وعين قاضيا للقائمقامية النصارى سنة 1855، رقي الى درجة مطران سنة 1861، انتخب بطريكا سنة 1890، توفي سنة 1899.يوسف الدبس: تاريخ سوريا، مراجعة مارون عبود، دار نظير عبود، ج 8، ص ص264-20.

(2) ولد في طرابلس سنة 1833، وتلقى تعليمه في مدرسة عين ورقة، رقي الى درجة مطران سنة 1872، شيد العديد من المراكز العلمية والدينية، له العديد من المؤلفات التاريخية، توفي سنة1908، الياس قطار: مؤرخون من لبنان، لادار، بيروت، 1998، ص48.

(3) D.D.C: op.cit.,v.13,p.433 ؛
جريد ة المواقف، العدد 930، سنة 1295؛ ابراهيم حرفوش: المصدر السابق، ص79؛ لحد خاطر: المصدر السابق، ص81؛ اسد رستم: المصدر السابق، ص162.

(4) D.D.C: op.cit.,v.13,p.441

(5) ابراهيم حرفوش: المصدر السابق، ص79؛ عبد الله البستاني، المطران، المصدر السابق، ص60.

(6) D.D.C: op.cit.,v.13,p.229؛
علي عبد المنعم: الصراع الايطالي – الفرنسي على بلاد الشام 1860-1941، دار الفرابي، بيروت، 2002، ص21.

(7) D.D.C: op.cit.,v.13,p.245-247؛ علي عبد المنعم شعيب: المصدر السابق، ص22؛

واجهت القنصلية الفرنسية في بيروت الخطر الايطالي، واتصلت برجال الدين لاسيما الموارنة والروم الكاثوليك ووجهت اللوم لهم، وهددتهم برفع الحماية الفرنسية، فأثرت تلك التهديدات بهم، وجاء بعضهم الى القنصل الفرنسي واعتذر له الا ان البعض رأى في المساعدات الايطالية افضل وسيلة لتحقيق طموحاتهم لاسيما وانهم اعتقدوا ان السياسة الفرنسية تدهورت بعد سنة 1870، وسارت وراء السياسة البريطانية التي كانت تتبنى الارسالية البروتستانتية فضلا عن سياسة الحكومة الفرنسية المعادية للمبادئ الكاثوليكية ووقف على راس هؤلاء المطرانين يوسف الدبس وبطرس البستاني الذي رأى ان الفرصة مؤاتية للتخلص من هيمنة المؤسسات الفرنسية في جبل لبنان واعتقدا ان ذلك سيسهم في نجاح عملهما لتعيين حاكم وطني على الجبل [1].

تزامنت تلك الاحداث مع طلب الاب مرتينيوس غسطاوي رئيس الرهبانية اللبنانية في ايلول سنة 1877 من المتصرف استخدام القوة ضد الرهبان، فألقي القبض على تسعة وعشرين، وسجنوا في سجن المتصرفية، ورافق القاء القبض على الرهبان عملية تفتيش الاديرة، فأستاء عدد من الموارنة الذين عدوا ذلك اهانة للقوانين الكنسية المارونية، واستنكر البعض موقف البطريك، ورفض المطران بطرس البستاني نزع اللباس الرهباني عن المعتقلين، ووقف الى جانب المعارضة، فظهرت حركة سياسية ارتبطت بقضية الرهبان[2].

اعتقد القنصل الفرنسي ووكيله المسيو غيزوGuizot ان ما يجري في جبل لبنان ما هو الا حركة سياسية تقف ورائها بعض الدول الاوربية، فبدأ التقارب بين القنصلية الفرنسية والمتصرف وشكلوا مع البطريك مثلثا وقف امام اي حركة ترمي الى زرع الشقاق في الجبل، ونظر كل طرف من مصلحته الخاصة، واعتقد القنصل الفرنسي ان استمرار المطران في سياسته ستؤدي الى الفوضى فتستغل الدول الاوربية الفرصة لتمرير مشاريعها ليس في جبل لبنان وانما في جميع بلاد الشام فيؤدي ذلك الى ضعف النفوذ الفرنسي بينما اعتقد رستم باشا ان الجبل لا يمكن ان يحكم الا من خلال شخصية بعيدة عن الاهواء الدينية والعنصرية، اما البطريك فحنكته السياسية وتجربته السابقة املت عليه اتباع سياسة التهدئة، وتفضيله التعاون مع فرنسا دون غيرها من الدول الاوربية مهما كان موقف الحكومة الفرنسية[3].

وتعقدت الامور كون السياسة الغير مرنة التي اتسم بها المطران بطرس والتي اوحت الى الفرنسيين انه يعمل ضدهم وهذا ما اكدته حادثة بيت الدين ففي نيسان سنة 1878 زار القنصل الفرنسي المتصرف في مقره في بيت الدين الواقع في قضاء الشوف مركز كرسي المطران بطرس، وكان البروتوكول المتعارف عليه ان يقوم المطران باستقبال القنصل مع المتصرف الا ان الاول امتنع عن ذلك ولم يحفل بزيارة القنصل الذي استاء من ذلك، وترسخ ما يدور في ذهنه من تقرب المطران للايطاليين واحلالهم محل الفرنسيين، وبعث القنصل برسالة الى البطريك الماروني ذكر فيها: **((اتيت بيت الدين فلم يحفل بي البستاني فاصار حكم بانني قطعت معه كل علاقات رسمية وشبه رسمية))**[4].

تزامنت زيارة القنصل الفرنسي مع زيارة القنصل البريطاني في بيروت الى رستم باشا، ولم يقم المطران بواجبه اتجاه الزائر ايضا فامتعض القنصل من ذلك لاسيما ان البريطانيين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير في قضاء الشوف، وادى ذلك الى حصول تقارب بين القنصلين وتوحدت جهودهما مع المتصرف للنيل من نفوذ المطران، واتصلت الاطراف الثلاث بمراجعها الرسمية، ورفع رستم باشا شكوى الى الباب العالي على المطران[5].

---

(1) D.D.C: op.cit.,v.13,p.241 لحد خاطر، المصدر السابق، ص ص83-84؛

(2) مخطوطات بكركي: مسعد15، 31، و143، 18، 22؛ D.D.C: op., cit,. v.13, p.242؛ رتيب عيد: المصدر السابق، ص304؛ بولس ابي ابراهيم: المصدر السابق، ص ص526-527.

(3) ابراهيم حرفوش: المصدر السابق، ص79.

(4) جرجس صفا: لمحات من الحياة العامة في متصرفية جبل لبنان، قدم لها وحققها رياض غنام، الدارالتقدمية، بيروت، د ت، ص ص35-36؛ ابراهيم حرفوش: المصدر السابق، ص79؛ لحد خاطر: المصدر السابق، ص84.

(5) D.D.C.,op,cit,V.13,P.442؛
ابراهيم حرفوش: المصدر السابق، ص80؛ منير اسماعيل: متصرفية جبل لبنان وانتخاب مجلس المبعوثان، مجلة اوراق جامعية، العدد2، السنة 1993، ص162.

وفي الوقت نفسه، زار المسيو تريكو باريس واستخلف على القنصلية المسيو غيزو المعروف بآرائه العلمانية وكرهه لرجال الدين، وتدارس المسيو تريكو مع مسؤولي الخارجية الفرنسية الاوضاع في الجبل وموقف المطران من النفوذ الفرنسي هناك، واقترح تريكو على مسؤوليه ابعاد المطران عن الجبل، فاقتنعت وزارة الخارجية باراء القنصل لاسيما وان غيزو طلب من وزير الخارجية دعم رستم باشا في ابعاد المطران اذ قال في رسالته: **((ليس علينا ضير مراعاة هذه الرغبة لاننا نرى الامور عن كثب وندرك بالتالي تمام الادراك انه يستحيل استعادة الطمأنينة الى لبنان ما لم يتم ارضاء رستم باشا في مواجهة ذي انفعالات عنيفة ويتمرد علنا على السلطات المدنية والسلطات الكنسية ايضا وذلك بابعاده عن مسرح ممارسة مثل هذا الدور التحريضي))**، فابلغت سفيرها بذلك وطلبت منه توحيد جهوده مع الباب العالي لأبعاده المطران، و اخذ الطلب مأخذه لدى السفير الذي التقى بوزير الخارجية العثماني مما اظهر استيائه من المطران، وطالب بابعاده عن الجبل، واكد ان وزارة الخارجية الفرنسية: **((لا تتحمل ما يحدث في لبنان فيما اذا لم تقدم الحكومة العثمانية على ابعاد البستاني))**، وكان لهذا الموقف اثر في قناعة المسؤولين العثمانيين الى ضرورة ابعاد المطران لانها تلقت طلبا مماثلا من السفارة الانكليزية تؤكد ذلك[1].

راى رستم باشا والمسيو غيزو ضرورة اطلاع البطريك الماروني على سياسة المطران، وطلبوا منه العمل على اقناع الاخير في الكف عن سياسة التحريض، فوافق البطريك على ذلك، الا ان المطران رفض طلب البطريك لاسيما الاستقرار في بكركي حتى تهدأ حالة الجبل، وكان لاصرار المطران على موقفه اثر في نفس البطريك الذي عقد اجتماعا في بكركي حضره معظم المطارنة، وتدارسوا قضية المطران فاكدوا ضرورة المحافظة على المصلحة العامة، وقد استغل المتصرف وغيزو موقف البطريك هذا فالحوا عليه على ضرورة اقناع المطران، وارسل المتصرف وكيله اسكندر توبني الى بكركي لعرض ما وصلت اليه الامور واطلاع البطريك على الطلب الذي تقدم به المتصرف الى الاستانة من اجل ابعاد المطران كما بعث المسيو غيزو رسائل عدة الى البطريك، واكد الاول في احد رسائله: **((لا يليق بفرنسا ان يخالف الموارنة سياستها))**، واعتقد غيزو ان ابعاد المطران الى بكركي او الى اي مكان اخر على يد البطريك سيكون له اثر كبير في نفس البطريك بشكل خاص والموارنة بشكل عام مما يؤدي الى ترسيخ علاقتهم مع فرنسا وبالتالي ابتعادهم عن منافسيها، وعلى الرغم من تاكيد رستم باشا والمسيو غيزو للبطريك انهما طلبا من الباب العالي وسفارة فرنسا ابعاد المطران بطرس الا ان البطريك ومطارنته لم يأخذوا ذلك مأخذ الجد[2].

وفي 31 ايار 1878 وصل امر الباب العالي الى رستم باشا بنفي المطران الى القدس، ومن اجل تنفيذ الامر دون ان يثير فوضى في الجبل او يظهره بمظهر العدو لرجال الدين وبالتالي انقلاب الامر عليه، وضع خطة للنفي فاخبر غيزو الذي تلقى ايضا رسالة من سفارته في الاستانة، وارسل اسكندر توبني في مساء اليوم نفسه الى البطريك يخبره بالأمر السلطاني، وفي الوقت نفسه امر الضابطية العثمانية بتنفيذ الامر[3].

دهش البطريك لخبر النفي فكثف جهوده من اجل عدم تنفيذه لاسيما بعد ان اوفد غيزو مترجمه الى البطريك، وطلب منه استدراك الموقف او على الاقل ان يتم الابعاد على يد البطريك نفسه، فارسل الاخير رسالة الى المطران اخبره بأمر النفي، وحثه على المجيء الى بكركي، فوافق المطران على ذلك، واستعد للذهاب الى هناك، الا ان رستم باشا فوت الفرصة على الجميع، وامر سليم طرابلسي امر الضابطية اللبنانية بالتوجه ليلة 1 حزيران 1878 الى مقر المطران، وفي الصباح وجد الاخير مقره محاط بالجند الذين قدر عددهم بين 200 الى 300 جندي، واعتقد المطران ان لا جدوى

(1) D.D.C.,op,cit,V.13,P.442 ؛
اسد رستم: المصدر السابق، ص162؛ جرجس صفا: المصدر السابق، ص37.
(2) D.D.C.,op,cit,V.13,P.443؛
جريدة الجوائب، العدد931 في 3 تموز 1878؛ لحد خاطر: المصدر السابق، ص ص85-86.
(3) D.D.C., op, cit, V.13, P.44380.جريدة الجوائب، العدد931 في 3-تموز 1878؛ابراهيم حرفوش: المصدر السابق، ص

للمماطلة او الرفض، وسلم امر الضابطية الى المطران الامر السلطاني بنفيه الى القدس، فوافق الأخير على ذلك، وفي 11 من الشهر نفسه وصل المطران الى القدس حيث مكث هناك اكثر من خمسة اشهر[1].

لم يكن نفي المطران سهلا على الاكليروس الماروني، فعقد البطريك اجتماعا مع مطارنته في19حزيران1878 في بكركي، وعلى الرغم من الخلافات التي ظهرت في البداية الا انهم اتفقوا على ارسال المطرانين يوحنا الحاج وعبدالله الدحداح الى بيروت لتقديم احتجاج الى قناصل الدول الاوربية، وعلى الرغم من تقديم المطرانين احتجاجهم الى القناصل والمتصرف الا انهما لم يحصلا على وعد من جميع الاطراف، ولكنه زاد من تماسك الاكليروس الماروني الذي راى ان قضية المطران لاتحل الا في باريس او روما[2].

بدأ الاكليروس الماروني بحملة اعلامية مكثفة سواء في الداخل او الخارج، ففي الداخل وجه العرائض الى ابناء الطائفة المارونية سواء في الجبل او خارجه لاعلامهم بقضية النفي، واستمال بعض الدروز للوقوف الى جانبه، اما في الخارج، فقد ارسل البطريك رسالة احتجاج الى الباب العالي كما ارسل رسالة الىالرئيس الفرنسي المسيو مكماهون[3] –Mac mahon دحض فيها اتهامات رستم باشا للمطران اذ قال: **((لقد صار اتهامه بروح حركة هيجان وصار نفيه.... فهو ينكر التهمة الموقعة به ونحن لم نطلع على وجود حركة هيجان لأمنه ولأمن غيره ولكننا نعلم فقط ان بعض اللبنانيين من طوائف مختلفة قدموا اخيرا معروضات ضد المتصرف مشتكين منه بانه مستبد بالسلطة في قضاء الحقوق واجرائها))**[4]، وكتب البطريك رسائل الى رئيس مجمع نشر الايمان ورئيس اساقفة فرنسا وسفراء الدول الكبرى في الاستانة والاب لافجيري رئيس مدارس الشرق، ومن اجل التأثير على المسؤولين الفرنسيين، سافر المطران يوسف الدبس الى باريس، وعرض القضية على اعضاء الحكومة الفرنسية وعدد من النواب والشخصيات الدينية والسياسية المهمة، ولاقت رسائل البطريك وزيارة المطران قبولا لدى هؤلاء لاسيما رئيس اساقفة باريس الذي طلب من الرئيس مكماهون العمل من اجل اعادة المطران وتعويضه عن الاضرار التي لحقت به، وبعث رئيس مجمع نشر الايمان رسالة الى السلطان العثماني طلب منه اعادة المطران الى مقره[5].

كانت لعرائض الاحتجاج اثر في اعادة الحكومة الفرنسية لحساباتها في اعادة المطران الى الجبل، فطلبت من قنصلها في بيروت العمل على اعادت المطران كما طلبت من سفيرها السعي لدى الباب العالي للغرض نفسه، وبدأ القنصل اتصالاته لاعادة المطران لاسيما انه راى ان الساعة باتت مؤاتية لاتباع سياسة اللين، واعتقد ان اطالة مدة النفي سيعرض نفوذ فرنسا وسمعتها للخطر[6]، كما ان الاخبار التي وردت من القدس والتي افادت بتدهور صحة المطران قد زادت من اهتمام القنصل لأنه لا يريد ان يجعله شهيدا فيما اذا مات هناك، ومن اجل ان لا يظهر تراجعا امام الاكليروس الماروني، كلف القنصل مترجمه الياس غانم فتح باب المفاوضات مع البطريك الماروني، وزار الياس البطريك في مقره، وتظاهر انها زيارة شخصية، ولكنه تطرق الى قضية المطران، واقترح على البطريك تقديم طلب الى القنصل الفرنسي والمتصرف للعمل على اعادة المطران، فوافق البطريك على ذلك، وارسل رسالة الى المتصرف اكد فيها ولائه للسلطان وتنفيذ الاوامر، وفي

(1) D.D.C.,op,cit,V.13,P.443؛
عبد الله الملاح: وثائق، المصدر السابق، ص51؛ بطرس ديب: الكنسية المارونية، ج2، ص560؛ جريدة الجوائب، العدد 931في 3 تموز 1878؛ يوسف ابراهيم يزبك: المطران بطرس البستاني يصف نفيه الى القدس، مجلة وراق لبنانية، المجلد3، السنة1957، 588ص؛ ابراهيم ملحم: المطران بطرس البستاني1818-1899، دار البستاني للنشر، الشوف، جبل لبنان، د ت، ص24.

(2) D.D.C.,op,cit,V.13,P.445؛343 رتيب عيد: المصدر السابق،

(3) سياسي وعسكري فرنسي، ولد سنة1807، اشترك في الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 وحرب القرم1853-1856، اصبح موضع تقدير لدى الإمبراطور نابليون الثالث، انتخب رئيسا للجمهورية الفرنسية الثالثة سنة 1873-1879، توفي سنة1893. Grand dictionaire encyclpedique larousse: parris, 1985, v.12, pp.7450-7451.

(4) لحد خاطر: المصدر السابق، ص95-106؛ عبد الله الملاح: وثائق، المصدر السابق، ص ص52-53.

(5) D.D.C.,op,cit,V.13,P.443؛562 يوسف السودا: المصدر السابق، ص ص38-39؛بطرس ديب: المصدر السابق، ص

(6) رتيب عيد: المصدر السابق، ص362.

الوقت نفسه طلب منه اعادة المطران، كما ارسل رسالة مماثلة الى القنصل تريكو الذي اشترط على البطريك شرطين اولهما تقديم المطران اعتذارا الى المتصرف والثاني اقامة المطران في دير بكركي بدلا من بيت الدين[1].

على الرغم من موافقة البطريك على الشرط الاول الا انه رفض الشرط الثاني، واصر على عودة المطران الى مقره، واعتقد ان الاقامة في بكركي يعني نفيا اخر، ولانهاء الخلاف ارسل القنصل احد موظفي القنصلية مسيو ادمون بورتاليس الى البطريك لإقناعه في بقاء المطران في بكركي الا ان البطريك اصر على رايه، ولكن بورتاليس اكد له ان اصراره على موقفه سيؤدي بالقنصلية الى اتخاذ موقف غير ودي تجاه الاكليروس الماروني، وانتقد المطارنة موقف القنصل الفرنسي، واتهموه بالتخاذل تجاه قضية المطران والعمل لحساب المتصرف، وادى موقف المطارنة الى انزعاج بورتاليس الذي خرج غاضبا، وتخوف البطريك من ذلك، واعتقد ان بورتاليس سيبلغ القنصل ما حدث فيؤدي الى اتخاذ الاخير موقفا سلبيا الا ان المطارنة اكدوا للبطريك ان القنصل سيغير رأيه، وفي اليوم الثاني ارسل القنصل احد الضباط الفرنسيين الى البطريك، واقترح عليه ان تكون اقامة المطران في بكركي بشكل مؤقت، وتعهد له ان الاقامة سوف لا تدوم طويلا وانه سيعيده الى مقره، وفي الوقت نفسه اكد للبطريك ان المطران سيعود الى لبنان على ظهر سفينة حربية فرنسية ويرسل القنصل احد موظفي القنصلية ليتولى مراسيم عودة المطران من القدس الى بكركي[2].

وافق البطريك على اقتراح القنصل، وارسل رسالتين احدهما الى المطران بطرس اطلعه فيها على ما اتفق عليه، والثانية الى رستم باشا يلتمس فيها مفاتحة الباب العالي، وبالفعل ارسل المتصرف رسالة الى الصدر الاعظم طلب من الاخير دعمه لإعادة المطران وحثه على موافقته على الوساطة التي قام بها السفير الفرنسي في الاستانة، وفي الوقت نفسه بعث القنصل رسالة الى رستم باشا شرح فيها الخطوات التي سيتخذها في اعادة المطران الى بكركي، وكان لجهود السفير الفرنسي اثرا في موافقة الباب العالي الذي امر رستم باشا على اعادة المطران بالسرعة الممكنة، وارسل اوامره الى متصرف القدس لاتخاذه الخطوات اللازمة لإعادة المطران، ويبدو ان كل طرف ينظر الى القضية من خلال مصلحته، ففرنسا رأت ان النفي لاكثر من هذه المدة سيؤدي حتما الى ابتعاد الموارنة عنها او على الاقل سيسمح بتدخل الدول الاخرى في شؤون الموارنة، اما رستم باشا ومن ورائه الباب العالي، فقد اعتقدوا انه يجب التوافق مع فرنسا على القضايا التي تهم الموارنة حتى لا يفقدوا صداقتها، بينما ترجع موافقة البطريك الى الحالة السيئة التي وصل اليها المطران وضجره من النفي والتي ادت الى ان يكتب الى البطريك للعمل على اعادته الى الجبل[3].

ابدت جميع الاطراف نشاطا في اعادة المطران اذ ابحرت السفينة الفرنسية ليتوا Letwa ميناء بيروت، وضم الوفد الذي توجه الى يافا فضلا عن الكونت ديبر تموت قائد السفينة الفرنسية اسكندر افندي الطرابلسي موفدا من المتصرف ويوسف الشهابي موفدا من البطريك، وبعد وصول السفينة الى يافا، توجه الوفد الى القدس، وبعد الاقامة يومين هناك خرج المطران مع الوفد من القدس في 7 تشرين الثاني 1878 بعد ان ودعه بطريك اللاتين والقنصل الفرنسي وجمهور من مسيحي القدس، كما رافق الوفد مجموعة من الجند العثمانيين، وجرى للمطران استقبال في يافا شارك فيه ممثلو القناصل والاهالي ثم اتجهوا الى ميناء جونية الذي وصلوه يوم 19 تشرين الثاني 1878[4].

---

(1) D.D.C.,op,cit,V.14,pp.58-59,62-63 ؛
جريدة الجوائب، العدد 951 في 21 تشرين الثاني 1878؛ ابراهيم حرفوش: المصدر السابق، ص83؛ عبد الله الملاح: المطران، المصدر السابق، ص ص71-72.

(2) D.D.C.,op,cit,V.14,P.59 ؛
جريدة الجوائب، العدد 951 في 21 تشرين الثاني 1878؛ عبد الله الملاح: وثائق، المصدر السابق، ص61.

(3) D.D.C.,op,cit,V.14,P.59 ؛
جريدة الجوائب، العدد 951 في 21 تشرين الثاني 1878؛ جريدة العمل، العدد9953 .

(4) D.D.C.,op,cit,V.14,Pp.59-60؛
جريدة الجوائب، العدد 951 في 21 تشرين الثاني 1878؛ ابراهيم حرفوش: المصدر السابق، ص ص84-85؛ بطرس غالب: فرنسا صديقة ومحامية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1923، ص367.

تلقى الموارنة بنأ عودة المطران بطرس بالترحيب، واثنوا على الجهود التي بذلها القنصل الفرنسي، وضاق رستم باشا من ذلك، وامر نشر بلاغا على الاهالي اكد فيه ان عودة المطران جاءت نتيجة المراسلات التي اجراها مع القنصل بعد ان قدم البطريك طلبا الى المتصرف لإعادة المطران وان ارسال السفينة الفرنسية كان بموافقة المتصرف، واكد البلاغ ان المتصرف اشترط ان يكون مقر المطران في بكركي ولا يحق له العودة الى قضاء الشوف الا بموافقة المتصرف نفسه[1].

ويبدو ان هناك اتفاق بين الحكوميتن الفرنسية والعثمانية على عدم عودة المطران الى قضاء الشوف وبقائه في بكركي، واقلق هذا البطريك لاسيما بعد سفر القنصل الفرنسي الى باريس وترك قضية المطران دون البت بها، ورفع البطريك رسالة الى الرئيس الفرنسي جاء فيها: **((كنا ننتظر ان مسألة المطران المذكور تحصل على نهاية كاملة بواسطة المسيو تريكو... ولكن عندما شاهدنا مسيو تريكو قد سافر من بيروت تاركا هذه المسالة غير منحلة تماما راينا من الواجب علينا ان نتجه اليكم ايها المرشال لكي نحقق لكم انه في جوهر الامر لم يتم شيء بما خص به المطران الا بتغير مقر منفاه.. نترجاكم ان تواصلوا عنايتكم لحل المسالة تماما بنوع يليق باسم فرنسا))**، كما وجه البطريك رسالة اخرى الى وزير الخارجية قال فيها: **((لمزيد ثقتنا باستمالة فرنسا لنحونا كنا ننتظر حل المسالة بنوع يعوض تعويضا كاملا تلك الاهانة التي حصلت لكامل طائفتنا المارونية في شخص المطران المذكور... لكن رجوع هذا الحبر لم يترخص به من المتصرف الا تحت شروط بان يصير استحضاره من القدس الى مقاطعة كسروان وانه لا يستطيع ان يعود الى كرسيه الا متى شاء المتصرف نفسه ان يرخص له بذلك ... فقد اتضح بان استرجاع المطران لم يكن على نوع ما سوى تغيير مقر في المنفى نفسه او على الاكثر تخفيض قصاص))**[2].

اهتمت الحكومة الفرنسية لطلب البطريك الماروني، واوعز وزير الخارجية الى سفيره في الاستانة تقديم طلب الى الباب العالي لاعادة المطران الى مقره، وفي شباط 1879 استدعى الباب العالي رستم باشا للبحث معه حول بعض القضايا، واخذت قضية المطران حيزا من المباحثات التي انتهت بموافقة الباب العالي على اعادة المطران الى مقره، واصدر رستم باشا امرا في 10 نيسان 1879 تضمن اعادة المطران الى قضاء الشوف، وفي الوقت نفسه بعث السفير الفرنسي في الاستانة رسالة الى وكيل القنصلية الفرنسية في بيروت اخبره بموافقة الباب العالي باعادة المطران الى مقره، واخبر الوكيل القنصلي البطريك بالموافقة، وفي 24 ايار 1879عاد الى قضاء الشوف[3].

الخاتمة

لم تختص قضية المطران بطرس البستاني بطرف دون اخر كما انها لم تحدث بين المتصرف والمطران بل اشتركت فيها جميع الاطراف من المتصرف الى البطريك ثم القنصل الفرنسي، ويرى الباحث ان المحرك الاساس للقضية هو القنصل الفرنسي، فقد راى الاخير ان نجاح المطران في معارضته للمتصرف سيؤدي الى ظهور تيار قوي مناهض ليس الى الحكم العثماني وانما الى النفوذ الفرنسي اذ ان المطران البستاني مع المطران يوسف الدبس قد اتجها بشكل مباشر اوغير مباشر نحو ايطاليا مما يعني ان نجاحهما هو نجاح النفوذ الايطالي ليس في جبل لبنان وانما في جميع سوريا فضلا عن ذلك فان فرنسا واجهت منذ سنة 1870 صعوبات داخلية وخارجية، ورای الساسة الفرنسيون ان افضل طريقة للحفاظ على نفوذهم في سوريا هي اتباع سياسة التهدأة وعدم اثارة المشاكل اي كان نوعها حتى لو اضطرت الى تقديم تنازلات الى الدولة العثمانية، وقد اوصت فرنسا سفيرها وقناصلها في الدولة العثمانية الى عدم الدخول باي مسألة تثير الباب العالي، كما اوصت الطوائف التي تمتع بنفوذ عليها الى عدم اثارة المشاكل مع الباب العالي، وعدت ان اثارة تلك المشاكل ما هي

(1) D.D.C.,op,cit,V.14,P.61؛
جريدة حديقة الاخبار، العدد 855 في 5 تشرين الثاني 1878؛ عبد الله الملاح: وثائق، المصدر السابق، ص ص63- 64.
(2)D.D.C.,op,cit,V.14,P.61؛65-64
عبد الله الملاح: وثائق، المصدر السابق، ص ص
(3) D.D.C.,op,cit,V.14,P.61؛387-386 Toufic touma: op.cit,p.333 ؛رتيب عيد: المصدر السابق، ص ص

الا ضدها بالدرجة الاولى، ومن هذا المنطلق فقد اعتقدت ان عمل المطران قد جاء في وقت غير مناسب وان الانجرار ورائه او السكوت عنه سيدخل جبل لبنان في مشاكل قد تفتح المجال للدول الاخرى التدخل فيه وبالتالي قد يؤدي الى الغاء امتيازاته، اما البطريك الماروني الذي عد نفسه الرجل الاول في الكنيسة المارونية فقد اوجس خيفة من الشعبية التي حصل عليها المطران بطرس، فعمل على معارضة المطران والتقليل من شأنه وفي الوقت نفسه حاول تسوية قضية المطران والاستفادة من الشعبية التي حصل عليها، اما المتصرف فكرهه لرجال الدين.

قائمة المصادر

اولا: -الوثائق

الوثائق باللغة الاجنبية

1. Documents diplomatiqes it consalairel relatifs a histoire du liban by Adel Ismail, Bayrouth, 1975-1978, v.13-14.

الوثائق باللغة العربية

2. عبد الله الملاح: وثائق جديدة من تاريخ المتصرفية (عهد رستم باشا)1873-1883، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1979.

ثانيا: -المخطوطات

3. مخطوطات بكركي.

ثالثا: -المصادر باللغة العربية

4. المسعودي: الدولة العثمانية في لبنان وسورية، بيروت، 1916.
5. ابراهيم البستاني: المطران بطرس البستاني 1818-1899، دار البستاني للنشر، بيروت، د ت.
6. سمعان الخازن: تاريخ اهدن، ج1، بيروت، 1938.
7. ابراهيم حرفوش: دلائل العناية الصمدانية في سيرة البطريك الياس الحويك، جونية، 1935.
8. هنري لامنس: تسريح الابصار فيما يحتوي لبنان من الاثار، دار الرائد اللبناني، بيروت، ط2، 1982.
9. فريد ابو فاضل: اسر العناحلة ومراحل التاريخ اللبناني، لادار، 1945.
10. رتيب عيد: المطران بطرس البستاني 1819-1899، منشورات جامعة روح القدس، الكسليك، جبل لبنان، 2013.
11. يوسف السودا: في سبيل الاستقلال، ج1، بيروت، 1967.
12. شاهين الخازن: كنوز لبنان المرصودة، جونية، لبنان، د ت.
13. اسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، دار النهار للنشر، بيروت، 1973.
14. لحد خاطر: عهد المتصرفين في لبنان 1861-1918، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1967.
15. يوسف الدبس: تاريخ سوريا، مراجعة مارون عبود، دار نظير عبود، ج 8، د ت.
16. الياس قطار: مؤرخون من لبنان، لادار، بيروت، 1998.
17. علي عبد المنعم: الصراع الايطالي – الفرنسي على بلاد الشام 1860-1941، دار الفرابي، بيروت، 2002.
18. جرجس صفا: لمحات من الحياة العامة في متصرفية جبل لبنان، قدم لها وحققها رياض غنام، الدار التقدمية، بيروت، د ت.
19. بطرس ديب: الكنسية المارونية، ج2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1945.
20. بطرس غالب: فرنسا صديقة ومحامية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1923.

رابعا: -المصادر باللغة الاجنبية

21. Toufic touma: paysans etinstituions feodales chezles pruses et les maronites du liban du xv11 siecle-1914, publications de universite libanaise, beyrouth, 1971.

خامسا: -الدوريات

22. عبد الله الملاح: المطران بطرس البستاني اول منفي في عهد المتصرفية، مجلة المنارة، ع1، 1993.

23. بولس ابي ابراهيم: المطران البستاني، مجلة اوراق لبنانية، السنة 1957.

24. يوسف ابراهيم يزبك: المطران بطرس البستاني يصف نفيه الى القدس، مجلة اوراق لبنانية، المجلد3، السنة1957.

25. منير اسماعيل: متصرفية جبل لبنان وانتخاب مجلس المبعوثان، مجلة اوراق جامعية، العدد2، السنة 1993.

سادسا: -الجرائد

26. جريدة العمل، العدد 9953، السنة 1978.

27. جريد ة المواقف، العدد 930، سنة 1995

28. جريدة حديقة الاخبار، العدد 855 في 5 تشرين الثاني 1878.

29. جريدة الجوائب، العدد931 في 3 تموز 1878.

سابعا: - الموسوعات

30. Grand dictionaire encyclpedique larousse: paris, 1985, v.12.